

الهدف الليلية

كيف تنظم الغارة الجوية

مختصر من كتاب «قيادة القاذفات» (١)

١ - السيطرة على الاعمال الحربية وتوجيهها

لو عمدنا إلى وصف كل غارة شنتها القاذفات البريطانية على ألمانيا، لتحوّل هذا الفعل كسفاً مُمبلاً بالغازات ومواعيدها. فأصمّم الغارات حظاً من النجاح، هي الغارات التي لا تحدث فيها حوادث تسترقف الأنظار. وخير رجال الطائرات هم الذين يطرون بقاذفهم الشّاذة في خلية عن الأَبصار، إلى الهدف فيقفون به بقنابلها، ثم يعودون إلى قاعدتهم في سكون الليل. وجميع قارات القذف متشابهة في أصولها، سواء كانت موجهة إلى كولون أو هانوفر أو برين أو برلين أو أي مركز آخر من مراكز الصناعة الألمانية والانتاج الحربي. والغرض هو إلقاء القنابل على الهدف الأول، وإذا تعذّر ذلك فإلقاء القنابل على الهدف الثاني الذي يُعبّس لهم. وفي جميع هذه الحالات، تحمل الطائرات القنابل، ويحركها رجال خاضعون لأوامر صادرة إليهم وفقاً لنظام معين. وجميع الرجال يسرون على أسلوب واحد في تنفيذ الأوامر الصادرة إليهم، وهو أسلوب تلموه وتدرّبوا عليه خلال أشهر من التمرين. وجميعهم يواجهون العقبات نفسها، من ربح وظلام وتقلّب الجو، ونجاحهم أو فشلهم يُقاسان بمقاييس واحدة.

وقيادة القاذفات في سلاح الطيران البريطاني مقسومة «جماعات». منها جماعات الخط الأول ومنها جماعات التدريب على الاعمال الحربية. وهي متصلة بخطوط مباشرة، بالقيادة - قيادة القاذفات - حيث يقيم القائد الأعلى وهيئة أركان حربه. ومن الجماعات التي تتولى الاعمال الحربية ما يوجه إلى الأعداء، ليلًا وبعضها يوجه إليهم نهاراً. ولكن في أشهر الحرب الأولى، قبل الشروع في الغارات الليلية، كانت جميع الجماعات تخرج في أثناء النهار

(١) كتاب روبرت أندرسون ووزارة الاختبار والعمليات في بريطانيا قبل سنة ونصف سنة

وكل جماعة مقسمة « محطات » ، وكل محطة تشمل مطاراً أو أكثر من مطار . أما أصناف الطائرات المستعملة ، فتختلف باختلاف الجماعات

والنجاح في جميع غارات التنظف مرتبطة بالتعاون الوثيق بين العباط الذين يتولون قيادة الجماعات والقائد الأعلى لقيادة القاذفات . وهؤلاء الرجال على اتصال دائم . ومع أن القرارات الأخيرة من حق القائد الأعلى ، بحكم الطبع ، إلا أن القواد الذين يلونه مباح لهم مدى كبير في كيفية تنفيذ الأوامر . وقواد الجماعات يمتنون كل يوم بتحقيق مبلغ قوة جماعتهم وإنشاء القيادة العليا بها لكي يبقى القائد العام مطلعاً املاحاً دقيقاً ، على عدد ما في قيادته كلها من طائرات وعدد كل طراز منها ، في وقت ما

هذا الاتصال الوثيق بين أصحاب السلطة في قيادة القاذفات ، ييسر تنفيذ خطة مرنة ، وضمت على قواعد تجعل اجراء كل تغيير فيها مستطاعاً في سرعة وبغير أن يندأ عن اضطرابها . وقد أُنِصَحَ وضع هذه الخطة إحصائياً ، وجعلت قابلة للملازمة للأحوال ، بحيث لا يحتاج القائد . إلا إلى الضغط على زرٍّ ، لكي ينطلق اندفع الذي سيؤدي إلى العدو . أما كيف يضغط هذا الزرُّ أي كيف يُصدر أوامره لشنِّ غارة على ألمانيا فيجب ذكره بعد قليل

إن صم قسم « المحاربات » في قيادة القاذفات ذو شأن عظيم ، لأنه يتيح للقائد العام حقائق ومعلومات يحتاج إليها ، عندما يضع برنامج العارات . وضباط هذا القسم عليهم أن يستخرجوا ويحفظوا حقائق عن كل موضوع متصل بالاعداء ، ويتميّن عليهم أن يكونوا أبدأ مستعدين لمرض هذه الحقائق حالاً أو بعد فترة يسيرة ، على القائد العام . ومع على اتصال بوزارة الطيران . يطلعون على توجيهاتها ، ويعرفون سياستها العامة في استعمال القاذفات ، في فترة ما . فيستطيعون أن يستشفوا لون الحقائق التي تطلب منهم قبل أن تطلب . فإذا كانت مصانع العدو البحرية ، هي هدف الغارة التالية ، فانهم يستعدون لذلك بجمع كل ما يستطيعون الحصول عليه من معلومات عن هذه المصانع في شتى الرواى . وإذا كانت توجيهات الوزارة تشمل مصانع التنظف أو محطات توليد الطاقة أو مصانع الطائرات ، فانهم يعدون المعلومات المتاحة عن هذه الأهداف

وكل هدف من هذه الأهداف التي في كشف الوزارة له ملف خاص يحتوي على خارطة وصور ضوئية ورسوم وحقائق عن مدى الانتاج ، والأعلام التي يستطيع الطيارون الاهتداء بها للوصول إلى هدفهم ، ومذكرات عن أعمال الدفاع وقوتها أو ضعفها . ولكن ملفاً لسختان تحتفظان في حجرة الامصال الملية : وفي مقر القيادة ، وهناك علاوة على ذلك ، فهرس تم سجلت فيه أسماء الأمان وطبيعة الأهداف في بلد أو مرقع في ألمانيا . وقسم « المحاربات » على اتصال دائم بقسم « الخاطف » في قيادة القاذفات ووزارة الطيران ،

وبالتقديرات الأخرى في سلاح الطيران الملكي ، وبوزارة البحرية عن طريق ضابط الاتصال البحري ، ومصلحة « المحاربات » في وزارة الطيران

٢ - في حجرة الأعمال الحربية

ولندخل أولاً مع القائد العام حجرة الأعمال الحربية في مقر قيادة التقادفات الساعة التاسعة صباحاً. هنا في مكان تحمية طبقات كثيفة من الاسمنت المسلح تحت أكمة من التراب العشوشب ، يصدر الأمر بالذارة القبلية ، وسرلاً أصحواً كان الجو في الخارج أم مطراً ، فداخل هذه الحجرة مضالاً بصوه لطيف غير منقلب كأنه ضوء يوم من أيام الربيع وهو منبعت من ما كسات مركبة في أعلى حجرة مستطيلة مائلة حسنة التناسب . وهي مجوزة بأجهزة تضبط الهواء ، وأرضها مغطاة بطبق من القساط . وأيس لها إلا باب واحد. هذا الباب والسلم المنفض إليه يجرسها حرس لا يسمح لأحد ، داخلاً كان أو خارجاً بالدخول أو الخروج بغير ترخيص خاص على الجدار الرئيسي أمام الباب ثلاثة ألواح سرد ارتفاع كل منها نحو ثلاثين قدماً وعرضه عشر أقدام . وعلى هذه الألواح « بيان القتال » وما على القائد العام إلا التقاء نظرة عليها ليعلم ما قوة كل جماعة ، وما مكان كل سرب من أسراها، وما مجموع الطائرات المتاحة للعمل

خصّ اللوح اليمين بالأعمال الحربية الجارية . هنا بيان بأسماء الجماعات التي تقوم بعمل ما، والاهداف التي اختيرت للإغارة عليها في الليلة السابقة . وتكتب الحقائق على هذا اللوح بنوعين من الطباشير . أحدهما أصفر يبين ما تقرّر عمله . والثاني أحمر يبين ما أنجز من الاعمال . أما الحقائق المدونة على اللوحين فمكتوبة ، بمعداد أبقى من الطباشير . وهي تمدّل مرة كل أربع وعشرين ساعة لكي تبقى بجارية لسير الاعمال . ويعمل هذه الألواح - وهي تفعل جداراً كاملاً - ساعة ، وتمتحنها تقوم يدي التاريخ في حروف كبيرة وأرقام

أما الجدار اليمين في هذه الحجرة المستطيلة فتخطيه خارطة كبيرة للظواهر الجوية تدل على حالة الجو . وهي تمدّل مرة كل ثماني ساعات وفقاً لحقائق الأرصاد الواصلة الى القيادة . وال جانبها لوحة تبين اوجه القمر ، طول الشهر . ويقابل هذا على الجدار الأيسر خارطة مقياساً لشمال أوروبا تبين الاهداف الرئيسية . ومواقعها معدّدة بدبابيس لصقت بها رقع صغيرة ملونة ، وعلى كل رقع كتبت « النشرة » أي العلامة السرية الخاصة بذلك الهدف وعلى الجدار الخلفي خارطة من قبيلها تبين الاهداف الرئيسية في إيطاليا

الى يسار الباب ، وعلى مسافة يسيرة من الجدار ، مكتب الضابط المراقب ، والنترنجية . وأجهزة التليفون التي في هذه المكاتب تعمل مقرراً للتقادة بقيادات « الجماعات » ووزارة الطيران وفي الزاوية إلى اليمين مكتب يمسر الضابط بحري وحق بقبضة التقادفات . ومهمته

أن يشير على القائد العام في جميع المسائل البحرية، ويعرض عليه آراء الأدميرالية. وهو من رتبة «كابتن» في الاسطول وله مساعدان، أحدهما مقره على القالب مع «الجماعة» التي تتولى العمل ضد سفن الأعداء والثاني مقره مع الجماعة التي تتولى مهمة بندر الألغام. وهناك كذلك ضابط من الجيش ينهض بمهمة الاتصال بين القائد العام لسلاح القاذفات والجيش البريطاني في الجزائر البريطانية

وفي وسط الحجرة إلى اليسار، يقوم مكتب القائد العام. وعلى مقربة منه ثلاث موائد، مركبة على محاور فيسبل تحريك الموائد لتكون عمودية الوضع أو أفقية. وعلى أولاهما سمرت المخرطات الخاصة بأعمال الليلة. ثم هناك صورة عامة لمنطقة «الزور» مركبة من سور متعددة صغيرة. وعلى المائدة الثانية خارطة كبيرة لقارة أوروبا تبين الطرق إلى شتى الأهداف، وكذلك المواقع التي يحتمل أن تعترض قوتها المطاردات الألمانية القاذفات الغربية، أو الأماكن التي تحرسها هذه المطاردات بدورياتها والحقائق الموضحة على هذه الخارطة تنبئ مرة كل أربع وعشرين ساعة وفقاً للبيانات التي تمدها وزارة الطيران وترسلها إلى القيادة. وعلى هذه المائدة كذلك عدد من خارطات الأهداف وهي مجمعة حول خارطة كبيرة تبين مواقع تلك الأهداف. أما المائدة الثالثة، فعليها رسوم بيانية، يستخرج منها بلحة، عدد الغارات التي شئت على طوائف معينة من الأهداف. وهناك خارطة لبرلين وصور ضوئية مكبرة لأكبر الأهداف شأناً

٣ - أهداف الليلة

يجلس القائد العام إلى مكتبه ويراجع مراجعة سريعة الحالة، كما تمتخرج عناصرها من تقارير الليلة السابقة، ومن الحقائق التي تتصل به شيئاً من كبير أركان الحرب، وقائد «الجماعة» الذي تولى الأعمال الحربية. إن نوح الهدف الذي هو جرم معروف. فقد اختارت وزارة الحرب وهي التي تهيئ الاتجاه الرئيسي في الهجوم الجوي. وتنشر وزارة الطيران توجيهات في الحين بعد الحين مبنية على قرارات وزارة الحرب. وعلى طاق القائد العام لقيادة القاذفات، يقع الواجب وتلقى التبعة، في تنفيذ هذه التوجيهات. ولكن قبل أن يتمكن من تعيين الأهداف الليلة التالية عليه أن يستشير خبراء الظواهر الجوية» لأن اختياره مرتبط بحالة الجو ودرجة الرؤية. وهؤلاء الخبراء مؤتمنون مديونون في وزارة الطيران، ويلحقون بمجموع «الجماعات» والمخطات» التابعة لقيادة القاذفات. ورئيسهم ينتظر القائد العام، قرب إدارة الظواهر الجوية. وليس في وضع «الخبير» دائماً أن يضمن إرضاء النهائي في الساعة التاسعة من الصباح عن حال الجو كما ينتظر أن تكون في الليل لتقبل، ولكنه يستطيع أن يقين

الاتجاه العام فرق منطقتي ما أو أكثر. والتقدير النهائي يعمل أحياناً في الساعة الرابعة مساءً، بعد اتصال يتم ظهراً بالتلفون، بين خبراء الظواهر الجوية الملحقين « بالجماعات » المختلفة وليس بالنادر أن يعين القائد العام مناطق أخرى للاذارة عليها، غير منطقة الاهداف الرئيسية وأن يصدر امره باعداد الخطط اللازمة لمهاجمة أهداف في هذه المناطق، لأنه إذا كانت حالة الجو منقبة، فقد يحتفظ بقراره الأخير، الى ان يتلقى البيان الأخير عن الحالة الجوية. فهو يختار في المؤتمر الذي يعقده الساعة التاسعة صباحاً، هدفاً رئيسياً وهدفاً ثانوياً، على ان لا يهاجم الثاني الا اذا جعلت الحالة الجوية مهاجمة الأول منهذرة. ولا يختار للهدفين الأول والثاني، الا مواقع تصح الاذارة عليها بنوع واحد من القنابل، لأن تغيير نوع القنابل التي تحملها القاذفة قد يفضي الى عرقلة تحميلها بالقنابل ويؤدي الى تأخير يلقي الخبير بالظواهر الجوية، محاضرة قصيرة عن حالة الجو، وقد تستغرق المحاضرة خمس دقائق، وهو يترحم فيها الدقة على قدم ما تسمح به مسائل الموضوع. ثم انه لا يتصر كلامه على حالة الجو في الطريق الذي ينتظر أن تسلكه الطائرات، بل يعالج كذلك حالة الجو المنتظرة فوق الطائرات البريطانية عند عودة الطائرات من غاراتها اليها. ويعود القائد العام الى مكتبه وقد اتخذ قراره عن المناطق التي تحتوي أهدافاً تصلح لغارات القنابل الثقيل. وقبل أن يعين الاهداف بالذات، قد يطلب ما عند « ضابط المخابرات » وقائد « الجماعة » المتولي الاعمال الحربية، ويؤتى اليه بصور ضوئية لمختلف الاهداف. ثم يتخذ قراره وبعد ان يتخذ قراره بدور البحث على عدد القاذفات التي يجب أن تشارك في الغارة. وفي اثناء ذلك يكون المراقب قد بدأ يتصل « بالجماعات » ولا تنقضي دقائق حتى يكون قد عرف معرفة دقيقة عدد الطائرات المتاحة للعمل في كل جماعة، ويعرض نتيجة بحثه على القائد العام، فيقرر عدد ما في القوة المهاجمة من قاذفات ضخمة ومتوسطة. ثم أخيراً يبحث مع كبير ضباط أركان الحرب عدد الطائرات التي يمكن توجيهها الى كل هدف بعد اتصال في هذه المسألة، يأخذ القائد العام رقعة طبعت عليها عبارة: « توزيع القائد العام الجوي للأهداف »، يكتب على هذه الرقعة « شفرة » الاهداف التي يجب الاذارة عليها وعدد الطائرات التي تشارك فيها من كل جماعة ونسبة القنابل المحرقة الى المتفجرة في أحمال الطائرات. وهذه الرقعة هي الامر المكتابي بالغارة. فيأخذها « المراقب » ويصدر الأوامر اللازمة الى الجماعات. ثم يعود القائد العام الى مكتبه. وقد استغرق العمل ساعة، وهي انة من حقها فيها إذا شاء أن يضع الخطط لتوجيه أي جزء من قوة القاذفات المتاحة له ذو القور كلها الى الهدف الذي يختاره

٤ - مقر قيادة الجماعة

فلينتقل المشهد الآن الى مقر قيادة الجماعة هنا على حاشية بلدة في مقاطعة ما ، يتلقى الضابط قائد الجماعة اوامره وهي ترسل اليه على خط تلتوي مباشر بالكتاب البرقي فيعلم منها عددا ما يتعين عليه إرساله من طائراته في غارة الليلية ، وهو يقرر عددا يستعمله من أسراب وإلى أي المحطات تستند . ويعاد هنا ، على ضرورة اصغر ما حدث في مقر قيادة الجماعة .

قيادة الجماعة ترسل الاوامر وتبين الاهداف لقراد المحطات التي تختار للاشتراك في اعمال الليلية الليلية . ثم يجمع خبراء الضواهر الجوية في مقر « الجماعة » وفي « المحطات » ، ويعقدون مؤتمراً بالتلفون . ومقر قيادة المحطة لا يختلف الا في سفر لطاقه ، عنه في مقر قيادة الجماعة . فقائد المحطة وهو رتبة « قائد جماعة » يستدعي « قائد السرب » وضابط الاعمال الحربية ، ويعد عليهما الاوامر التي تلقاها . وتكون المواقع التي يجب ان تسدد اليها القنابل في الاهداف مينة جاهزة لاعمال الليل

أما قائد السرب فيواجه مشكلة واحدة رئيسية : كيف الوصول الى الهدف المطلوب من أسهل سبيل والتعرف عليه . وهذا مرتبط في انقام الأول بحماة صفاء الجو أي « درجة الرؤية » . هل الليل مظلم فأمم ؟ في هذه الحالة قد نضطر الطائرات أن تحوم مدى ساعة فوق منطقة الهدف قبل أن يستوتق رجالها من أنهم وجدوا ضالهم . ثم هناك مسألة الساعة بين القاعدة والهدف . إذ لا بد للطائرة من أن تحمل مقدراً من الوقود يكفيها للذهاب والاياب والدة التي تقضيها فوق منطقة الهدف ، ثم لاحتمال عودتها الى مطار أبعد من مطارها الاصيل اذا كان هذا محجوباً بالنسيم او الضباب . وبما يؤثر في مقدار ما تحمله الطائرة من الوقود ، الطريق الذي تسلكه الى اهدافها . وهذا الطريق ليس عادة أقدم طريق ، لأن القاذفات المغيرة يجب ان تجنب على قدر الامكان مناطق ركزت فيها الاضواء الكشافنة والمدافع المضادة . وفي الطريق الى شمال ألمانيا منطقة تعرف بين رجال سلاح الطيران البريطاني باسم « بحر الاضواء الكشافنة » ولا بد من ان يحسب حساب هذا المركل مرة توجه فيها غارة الى اهداف في هبورج أو برين أو غيرها

تعين « قيادة الجماعة » في أمرها المصادر الى المحطات مقدار ما تحمله الطائرات من قنابل ، ولكن لقائد المحطة ان يمتنع الحل اذا رأى وجوب ذلك لأسباب محلية . ولا بد من القول انه من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، تغيير حمل الطائرة من القنابل ، بعد صدور الامر بتعيين الهدف وتحميل الطائرة ، اذا كانت المدة المتاحة لذلك قصيرة . لأن ذلك يقتضي تغييراً في مقدار الوقود وكية القنابل وزنها . وهذا لا يتم في بضع دقائق ، وإذا تأخر القرار ، فقد يعني التمام قنابل على هدف ما ، لا يوافق الهدف الذي تلتقى عليه ، كما نرى ،